

التنافس الاستعماري وأثره في اندلاع الحرب العالمية الأولى

د. عبد الله كاظم عبد

كلية التربية الاساسية جامعة البصرة

المقدمة

دشنت فرى العالم الكبرى خلال النصف الثاني من عام ١٩١٤ موجة جديدة من مراحل الصراع الدولي. إذ تعدلت خلال تلك الفترة الحرب العالمية الأولى التي امتدت حتى عام ١٩١٨. بتأثير عوامل متعددة حكمت فيها مياثرة وأخرى غير مياثرة. وإذا كانت حادثة اغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند في الرابعة التي تترست بها قوى العالم الكبرى وما ترتب عليها لتقرير المواقف التي ظهرت خلال تلك الحرب وعلى أوسع نطاق تجلوت في آثارها ومباينتها حدود الفترة الأوروبية.

وتكرر السؤال الذي يطرح نفسه هو: «أي العوامل كان أساساً في اندلاع الحرب العالمية الأولى وما مدى تأثيره». إن الإجابة على هذا السؤال هي هدف هذه الدراسة.

ولقد اعتمد الباحث في تدعيم وجهات نظره على قائمة من المصادر العربية والمصرية، إضافة إلى بعض من مصادر التاريخ الأوربي باللغة الإنكليزية ومحاولة الاستفادة من بعض الوثائق المنشورة التي كان من أبرزها:

((British Documents on Origins of War 1898- 1914)) في حزمة المحدثي جيمز المولتين ((Temparty , Gooch .

وقد حاول الباحث الاعتماد بعمقاً على مبيعة العناوين الفرنسية بنية لمحاولة على وحدة الفكرة والموضوع. والله من وراء القصد.

ذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار التنافس الاستعماري الأساس وراء اندلاع الحرب العالمية الأولى. في حين قلّ الآخرون من أهميته باعتباره واحداً من العوامل غير المباشرة التي أسهمت في قيام تلك الحرب. غير أن هذين الفريقين لم يكونا لوحيداً في رأيها. وهما من التنافس الاستعماري. ولم يكن ينبغي لمر إلى النجدة التي يصورها بها أصحاب الفريقين لسانين يتكلم مطلق.

ولكن يبقى سؤال مهم (١) أن الأراء الثلاثة لهذه وترجح (٢) ، ولكن وقبل الدخول في مناقشة هذا الأمر يجب أن العودة وضمن تسلسل منطقي وجزر نحيا إلى أسباب هذا التنافس الاستعماري ، وما هي أهم الميادين التي اندلع فيها بين الدول ؟ وما إذا كان هذا التنافس قد أثار التزامات معينة ؟ وإذا كان قد عمل على زيادة وتأجيج الأزمات لم على حلها ؟ وأي حال إذا كان قد عمل على زيادة وتأجيج الأزمات ، فما هي النتائج التي نزلت على ذلك ؟ وهل تم حل لمشاكل الاستعمارية الناتجة عن ذلك ومن ؟ وما هي النتائج العامة للمشاكل الاستعمارية التي نزلت ؟

لم يكن التنافس الاستعماري وليد المنافسة ، بل أن هناك حول كل هذه كانت رقاب رءاه ، ولعل الثورة الصناعية كانت أحد تلك الرءاه ، حيث استخدمت الصناعة العلم ومسلت على مساحة العديد من الفيزيائيين والكيميائيين الذين ركزت حضرة الصناعة على نتائجهم العلمية أمثال فرداي ونس وكلفن (٣) .

كما أن الثورة الصناعية أدت إلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته إلى درجة أصبحت معها الأسواق الأوروبية عاجزة بحملها على استهلاك البضائع اللازمة ، وخلق المصنع طلب استثمار رؤوس الأموال داخل القارة الأوروبية ، لذلك اتجهت الأنظار والجهود إلى خارج القارة بحث وراء الأسواق وأسكن الاستثمار ومصادر المواد الأولية للصناعة الألمانية . وقد تمت تلك الجهود بين عامي ١٧٨١ - ١٩١٤ في محاولة الدول الأوروبية السيطرة على الأقطار الآسيوية والأفريقية للأغراض المذكورة آنفا (٤) .

ومما يقد في مجال الثورة الصناعية ، أنها وعلى سبيل المثال وفرت مقوداً من الصلب بما يزيد على مئة مرة من ذلك الصلب الذي انتج واستخدم في حروب نابليون وأعطاه ، حيث أنتج في الألوان الحديدية والمصنع التي أقيمت في لورين (٥) . ولعل أسكن استخدام هذه الكمية الحديدية معروفة ، به أن الصناعة العسكرية أخذت تغطي مجالات سريعة بعد أن جندت طاقات الصناعة لخدمتها في العديد من البلدان الأوروبية .

وتتضح مسألة التنافس الأوروبي بشكل أكثر إذا ما أخذت المرحلة التي سبقت انعقاد مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) ، حينما حرك محاولات لتقسيم غرب أفريقيا بين بريطانيا وفرنسا كمحاولة لواء ، غير أن الأمر تغير حينما دخلت ألمانيا كمنافس جديد في هذا الميدان ، ولا سيما وأن بيسرك كان يدافع عن المصالح الفرنسية لألمانيا بين عامي ١٨٨٣-١٨٨٥ (٦) .

وإنشاء البنك مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) ، تم الاتفاق على بدء إجراءات دولية استعمارية رسمية ، مما أدى إلى حصول كل القوى الكبرى لذلك على حصة في القارة الأفريقية ، وظهرت خلالها دالة من صفوات التقاسم كما هو الحال في التقاسم الفرنسي - الفرنسي ، والتقسيم البريطاني - الألماني الذي حصل عام ١٨٩٠ (٧) . ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالاستعمار الاستعماري - ب صبح التعبير - الذي كان سيؤدي كنتيجة حتمية إلى قيام

علاقات متبادلة بين الدول الاستعمارية والمنطق الخاضعة لها، غير أن ذلك كثيراً ما أدى إلى قيام علاقات سياسية بين الدول الاستعمارية والمنطق الخاضعة لها، غير أن ذلك كثيراً ما أدى إلى قيام أزمات خطيرة حصدت السلم العالمي للخطر^(٢٧).

وقد دفعت الدول الأوروبية عوامل تمنع البعض منها بحاجة صناعاتها القديمة من أسواق ومصادر للمواد الأولية، إلى حين كان البعض منها بعد فترة من الزمن يوافق براءات الدول على أنه دليل على العظمة والقوة الدولية. لذلك اتجهت بعض الدول نحو الاستحواذ على مستعمرات جديدة، مع التأكيد على تحديث قبضتها على مستعمراتها القديمة، ورافق ذلك نهج في التسليح في المجال البحري بشكل خاص، إضافة إلى ظهور نزعة العسكرية نحو اكتساب المستعمرات تلك^(٢٨).

كان من الطبيعي أن يشأ تنفس استعمر واسع النطاق، ازداد توسعاً مع زيادة الدول التي تستهوى عليها هذه الأفكار. خاصة مع ظهور ألمانيا والولايات المتحدة وأستراليا التي كن لا يملكن إلا حصصاً ضئيلة جداً بالمقارنة مع ما كانت تمتلكه كل من فرنسا وبريطانيا.

وعليه فقد عكست ألمانيا التي كانت تعد من أكثر الدول نشاطاً في ميدان العمل والحصول على العناية والإعانة تقدم مناطق النفوذ في العالم، وتمثل ذلك ردي واضحاً من خلال التوسيع بأثر ألمانيا وجودها عن مكان تحت الشمس. وقد دفعهم في ذلك قوة ألمانيا وجيوشها وسمعة اقتصادها والنمو السريع لسكانها، وهم ما صرح به الألمان أنفسهم^(٢٩).

ومن أبرز الخطوات التي اتخذتها ألمانيا في هذا المجال هو إرسالهم لبعثات عسكرية كاثوليكية لأغراضهم كما أن ألمانيا عملت على تطوير وتوسيع أسطولها البحري حتى أخذ ينافس الأسطول البريطاني، وعندما توطئت ألمانيا في القارة الأفريقية أصبح لها ما ينسب إليها، فحصلت على ما يسمى بأفريقيا الجنوبية الغربية الألمانية، التي انطلقوا منها نحو توغو والكاميرون ثم إلى زنجبار^(٣٠).

ولم تقتصر جهود ألمانيا في هذا المجال على القارة الأفريقية، بل أهتم أبناو رعية في القارة في أمريكا اللاتينية، حيث إلى ذلك ما أصبح عنه الألمان في القارة الأوروبية ذاتها عندما أمضوا يحلمون وإقامة «ألمانيا العظمى» في قلب القارة الأوروبية لتشمل البلاد الإسكندنافية وبنجيكا وهولندا ودول البaltic وبولونيا وأوكرانيا والنمسا والمجر وإيطاليا وقسم من فرنسا وأجزاء من ليبيا^(٣١).

وإنما ما ألقينا نظرة سريعة على مثل هذه الماطعات لوجدنا أنها كانت وبشكل موك لاكثر من قوة سخرى في حينه ولا سيما روسيا فيما يتعلق ببلقان ، وبرتغاليا في بلجيكا وهولندا ، وكذلك فرنسا والنمسا والجر . وإن كانت هذه الماطعات ستتغير بعض الدول ، فإنها ستدعو الأخيرة قطعا إلى ممارسة سياسة تحول دون إمكان الإعلان من تنفيذ لخطاتهم الاستعمارية . ولعل ما يشير موضوعا كهذا هو أن لعسكريين الألمان كانوا قد حظوا لوقت بإقامة إمبراطورية استعمارية تشمل مساحة واسعة من أفريقيا وأمريكا اللاتينية والسيطرة على المحيط الهادئ (١٩١٠) .

فجاء ذلك ظهرت فكرة التحالفات والاتفاقيات التي رسمت لتوقوف بوجه أطماع تول موجة أو تحول دول أخرى ، أو الحيلولة دون تحقيق مطلق تول أخرى : أو للتخفيف من احتمال تشوب حرب بين الدول القائمة وتصلح المصالح . ولعل ومن أهم تلك التحالفات والاتفاقيات هي عصبة الأمم سنة ١٩١٣ ، واتفاق عام ١٨٧٨ بين ألمانيا والنمسا والمجر ، وما سمي بالحلف الثلاثي عام ١٨٨٢ (٢٠) . ولقد دفع أمر ألمانيا وتحول إلى فرنسا لوجدنا أنها مع جيرانها الاستعمارية في القارة الأفريقية بأنها كانت تهاجم باستعادة الأندلس والجزيرة الأندلسية منها حصة على يد ألمانيا في عام ١٨٢١ بعد حرب عام ١٨٧٠ ، كما أن لها خطط توسعية في قلب ألمانيا (٢١) .

من جهة أخرى كانت روسيا تسعى لاستعمار دول البلقان وتأمين ممرها إلى المياه النافذة عبر مضائق البلطيق والدانوب والسيطرة على هذه المضائق بالنتيجة (٢٢) .

أما ما يخص بريطانيا العظمى فلها اشتبكت ولاكثر من مرة مع قوى أخرى نقاعا من بعض المعارك التي حصلت عليها مسبقا ، أو أنها كانت تحاول بذلك الحصول على مياطين جديدة . فتم ترقب لمتازات الاستعمارية في أفريقيا مثلا ، وبخاصة بين الفرنسيين والبريطانيين والأتراك . وإنما كانت بريطانيا قد واجهت منافسة ألمانية في جنوب أفريقيا ، فكما واجهت منافسة فرنسا إيطاليا النافذة جدا في أعالي النيل ، وقد نشبت بسبب ذلك بعض الالتزامات والتي من أشهرها أزمة فالشوت (٢٣) عام ١٨٩٨ (٢٤) .

لم يصل هذا التناقض إلى غايته إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بعد أن نشأ نزاع شديد حول امتلاك المستعمرات ، فقد قد تقسيم أفريقيا ، وشمل ذلك أيضا بلاد فارس والبلقان العثمانية ، ولم يكن انفلاسون مدفوعين بدوافع اقتصادية فقط ، بل أن عمل البحث عن الحرة القومية كان أحد الأسباب وراء ذلك والإحسان بالمتوسط في حال دولة استعمرات واسعة كما هو أمر المستعمرات البريطانية والروسية (٢٥) .

أعقب ذلك انحاء القزحة الروسية مع النمسا المنداعية خلف للروح الاستعمارية الملتببة التي سبقت الحرب العالمية الأولى (٢٦) . يضاف إليها دخول الدول الكبرى وسبب الجور في عظماء سابق لتسلح كثير من لسان في دعم تلك الروح (٢٧) .

وبذلك يلاحظ أن الدفاع الاقتصادي لم يكن النافع الوحيد وراء هذه الجهود الاقتصادية ، فقد عملت الدول الاستعمارية على توجيه جهودها ثقافية المؤسسة العسكرية وذلك من خلال اتجاهين الأول : المحافظة على الجيوش والأساطيل ، وتحمل نفقات إدارتها وتوسيعها ، أما الثاني : فقد انصب على السيطرة التي فرضتها قوة عن العسكريين على مقاليد بلادهم والإدارة السياسية فيها ضمن إطار عسكري .

وبدأ خلال الحديث عن سياق التصالح ، فيجدر بنا الإشارة إلى أن كل من فرنسا وألمانيا مدفوعتان بدوافعهما الخاصة بخوضان سياق التصالح امتد لفترة ليست بالقصيرة بين عامي ١٨٧١ - ١٩١٤ ، كما طبقت فرنسا للتجديد الإلزامي استمرار لهذا النزاع . ورغم هذا التخلي فإن التناقص الاستعماري لم يكن لافتا على الدوام ، بل ، لنا نلاحظ أن هذا التناقص كان ينفث حيناً أو يخف حيناً آخر ويعود إلى الظهور مرة أخرى بحسب الإمكانيات والخطط المتاحة والمسبوبة (١٠٠) .

ولا ضير أن نذكر أن عهد الجمهورية الثالثة في فرنسا وبإضافة من عام ١٨٧٩ قد أشر على تعمير وشح هوة ظهور فرنسا كقوة استعمارية تأتي بالمرتبة الثانية بعد بريطانيا في سعة المستعمرات فيما وراء البحار (١٠١) . في حين يعد البعض فرنسا بأنها استعمرت نفسها الاستعماري قبل تلك التاريخ ، وذلك في إشارة إلى عام ١٨٢٠ بحجة انقاع عن سلامة الأراضي الإفريقية لفرنسا (١٠٢) .

ولكن لم يبق السبب وراء ذلك يكمن فيما ورد نكرة من أسباب ، وإنما نجد العديد من المعايير للفرانسيين يلجؤون بشعورية استعمرت فرنسا أملاكها السابقة في نظار أوروبا ، حيث اعتبروا أن لا سيادة الأحرار أنت فيما أنت إليه إلى اتساع فرنسا في المظهر الأوروبي (١٠٣) .

ومن الجانب الآخر وجدت معظم الدول في نظام التوحيد الإلزامي الذي طبقته ألمانيا ، استوى منقضا وضلها لذلك فقد اتبعته كما أقر ذلك بالقرعة على تشكيل السلطة الحاكمة حيث أصبحت هي طبقة الضابط وبخاصة في ألمانيا (١٠٤) .

ونتيجة لتنافس الاستعماري لوسط أن القوى الاستعمارية قد واد ، مستعمراتها من تصالح ما يماثل ٢٥٨٥ من مساحة سطح الأرض من عتبة قلم الحرب العالمية الأولى (١٠٥) . ولعل ذلك يدل على أنه لم يثق شيء لم يتم احتلاله أو بسط النفوذ عليه . يضاف إلى ذلك إمكانية من العديد من الأمارات التي تثبتت بين الدول الكبرى ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهايته ، حيث بلغت تلك الأمارات التي أمكن حينها ما يتلوه الخمس ويمسحون لزومة . وقد ازدادت مثل هذه الإمكانيات مع عقد مؤتمر في لاهاي عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ تباحث في أمر التصالح وإقامة محكمة لتتسبب التنازحات (١٠٦) .

وبذلك يلاحظ بأن ليس هناك ما يتغير إلى حدوث تغيير كبير وخطير يستلزم أن يتغير الحرب أو يؤدي إليها ، بل أن الاتجاه كان يميل نحو نسوية وحل ما أمكن من الفلاشات . وبذلك يصبح الدول بأن تستخدم المصالح الاقتصادية لدول ثم يكون كافيا لاندلاع الحرب العالمية بالشكل الذي نتجت عليه^(٢٢٢) .

فقد كان يمكن أن تكون الحرب بين فرنسا أو ثلاث أو مصوغة صغيرة على أكبر نطاق . وهذا ما حصل مثلاً عند اندلاع الحرب بين روسيا واليابان عامي ١٩٠٤-١٩٠٥ ، أو التهديد بالحرب ، كما حصل بين فرنسا وألمانيا ، أو تغيير نظام التحالفات الدولية كترتيب الاتفاق الفرنسي الإيطالي عام ١٩٠٢ ، والفرنسي البريطاني عام ١٩٠٤ ، والبريطاني الروسي عام ١٩٠٧^(٢٢٣) .

عند حلول القرن العشرين لم يبق بقعة قابلة للتسكن سوى أن تهتدي إليها إحدى الدول الكبرى ، ولم يبق شيء بالنتيجة لأن يتم التناقص عليه إلا التوسع بعض الدول نفسها على حساب البعض الآخر^(٢٢٤) ، الأمر الذي كان لابد أن يؤدي إلى حدوث استخدام عسكري قد يؤدي إلى إشعال نار الحرب

ويبدو أن بالإمكان تقسيم المراحل التي مر بها التنافس الاستعماري إلى المراحل الأربعة :

تمثلت المرحلة الأولى في الترجمة الحميم لأمم الدول نحو تحقيق مصالحها الاقتصادية . تبعته مرحلة الاستعوزة والتنافس والميلولة والمحافظة على ما أمكن من المستعمرات ، غير أن هذا لم يستمر إلى ما لا نهاية فقد تم تغطية سطح الكرة الأرضية بشكل كامل بالسيطرة الأجنبية^(٢٢٥) . وبدأت المرحلة الانتقالية ما بين نهاية التنافس على المستعمرات وبين محاولة بعض الدول التوسع على حساب البعض الآخر . وهي المرحلة التي بدأت خلالها عمليات التنوية وحل النزاعات .

ومن الأمثلة على محاولة إيجاد الحلول على بعض الأممات هو مشروع سكة حديد بغداد برلين ، الذي لم تنته أزمته إلا عندما فتحت الأبواب أمام لمصادقات بين بريطانيا وألمانيا ، وفي الوقت نفسه التي رأت فيه بريطانيا وفريسا أن من الأمسح لكليهما الركود إلى إنهاء التوتر في العلاقات الدولية وإعطاء فرصة لألمانيا في الميدان الاقتصادي ، حتى أن إرارد غراي أعلن في مجلس العموم البريطاني في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١١ ، بأنه إذا كانت ألمانيا ترغب في أن يكون لها مكاناً تحت الشمس في أفريقيا فإن بريطانيا لن تشجع الغيات في هذا السبيل ، فضلاً عما صرح به وزير الدولة لشؤون الخارجية في ٢٠ كانون الأول ١٩١١ في أمدة لقاءاته مع السفير الألماني أن بريطانيا لا تيسر لديها الفية لمنع الأراضي الألمانية من الامتداد إلى الشرق أو الغرب عبر أفريقيا الوسطى^(٢٢٦) . وبذلك بالمعظم أنتهت بريطانيا في تقبلتين همتين هما تسهيل عملية التوسع الألماني والإقليمي لألمانيا وهذا يؤكد

أن مسألة التنافس الاستعماري خارج أوروبا لم يكن لها شأن كبير على التوجه صوباً حرب عالمية ، حيث أن العداوة واستمرار المصالح لا يظهر في الجغرافيا الاقتصادية العالمية .

ولكن إذا ما قورن بين ما تتيحه بريطانيا الآن وما كانت عليه العلاقة بينها وبين ألمانيا من تصور كما في عام ١٩٠٨ ، عندما اندلعت الأزمة بين الدولتين حول الاقتراح انيريطاني الملتصق بتقليص معدل بناء الأسطول الألماني لأن في ذلك سبب يؤدي إلى تخفيف حدة التوتر والاقتصاد في النفقات ، لوجدنا أن بريطانيا في سرقها هذا وما سلبه من روسيا في حيلها يوحى تسمياً بأن بريطانيا كانت على معرفة مسبقة من احتمال حدوث حرب في غضون سبع أو ثمان سنوات أو أنها كانت تعد البنية لتحول مثل هذه الحرب (١٩١٣)، ولعل ما يؤكد ذلك هو قيامها بالمناورات البحرية بين عامي ١٩١٣-١٩١٤ وفي خططها اعتبرت في حيلها 'الأكبر' حقولها للتلصص التتبع الكامل (١٩١٤).

أما روسيا فقد كانت تبحث عن السيطرة على المضائق التركية ، غير أن ألمانيا كانت تنافسها في ذلك ، حيث أن الأخيرة كانت قد أرسلت بعثة عسكرية لتنظيم على لتخليم وتدريب الجيش الألماني (١٩١٤)، وهي الخطوة التي رافقتها معارضة روسية حيث أن تحكم الألمان بالمضائق العثمانية يحكم حركاتهم الدولية مع الحكومة العثمانية بعد استنفاذ أوروبا التي كانت تلطم بفرص سيطرتها على تلك المضائق.

نضيف إلى ذلك تغير طبيعة الصراع بما كان عليه قبل الحرب العالمية : فقد كان الصراع حينذاك حول شبه جزيرة البلقان ، في حين أصبح بعد مصادرة مباشرة هدفه لتنافس على المضائق العثمانية (التركية) ، وإذا كان قد تم تسوية هذا الموضوع فإن جنودهم لم تكن بالتسوية مما كان يندرج بالتداعى حرب بين الدولتين (١٩١٤).

وبالمقابل وبعد أن أصبحت المناقشة حول المصالح هي الأساس بين الدول الأوروبية ، أخذ سياق التسلح يسيطر على خططات مبرمجة وكبيرة متلاحقة (١٩١٤) التي تسبقت إليها أغلب الدول الأوروبية وبلغ أوجه عتية قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤).

وعلى سبيل المثال فمرت ألمانيا زبادة حيوياتها الدائمة وسوخت بمصرف مبالغ طائلة على الأمور العسكرية غير الاعتيادية (١٩١٤) ، كما أن فرنسا من جانبها أعلنت عن تعداد منة الخدمة العسكرية الإلزامية من سنتين إلى ثلاث سنوات . في حين وجدت روسيا منسجسات عربية حذرة ، إلا أنها عند المصلحتين الألمان بينة جيش عثماني حديث . كما تم إمداد النمسا وألمانيا بقوة مدفعية حديثة ، فألبانيا تحضر من بريطانيا مبلغ طائلة لتطوير وتسلح بحريتها . كما أنشئت فيجيكا نظام الجوارب الإلزامي (١٩١٤).

أن تلك الاستعدادات جعلت من بريطانيا وفرنسا وروسيا وحصرياً وبلجيكا خزيناً بشرياً مشحوناً (١٨) مليون نسمة عام ١٩١٤ في حين كانت ألمانيا والنمسا والمجر تضم (٦٣٠) مليون نسمة، وعلى صعيد القوات العسكرية حدثت دول الوسط - ألمانيا والنمسا والمجر - (١٩١) فرقة عسكرية، في حين استطاعت دول الرافق - بريطانيا وفرنسا وروسيا وصرها وبلجيكا - من وضع (١٩٦) فرقة عسكرية. بينما تفوق الجيش الألماني بمنطقته ثلاث مرات على الجانب الروسي، فأصبح للجيش الألماني بناءً على هذه الأفضليات خور أدلة الحرب، تكن الأمر بالنسبة للبحرية الألمانية كان على حدة هذا الموقف في القوات البحرية (١٩١٤).

وبناء على ما تقدم يمكن أن نخلف أنه وبسبب انهيار توازن القوى فإن السلام قد أصبح في جيب الريح، وأنه أصبح على وشك الانهيار لا سيما وأن روسيا أخذت تستعيد عافيتها بعد الهزيمة أمام اليابان، وتلك فرنسا، الأمر الذي أرادت معه ألمانيا أن تنتهي ذلك بالمرب (١٩).

من جانب آخر كانت روسيا تعد نفسها داعية العنصر السنغاف، وهي في هذه المرة على غير اتصال للقوى كانت عنها سابقاً بتفوقها في حبات أخرى أو لتضعها، فهي في هذه المرة من عرفت في دعم ومساندة الشعوب المناهضة إذا ما اندلعت الحرب. في حين أن بريطانيا كانت تتردد كثيراً في دخول حرب عالمية غير مسبوقة للقوات (٢٠).

وعلى الرغم من الموقف آف الذكر لبريطانيا إلا أنها لم تخطأ وعداً بالحياد إذا ما اندلعت الحرب (٢١)، فأعلنت تعهداً بصيانة حياد بلجيكا (٢٢)، الأمر الذي دفعها إلى إعلان الحرب على ألمانيا ما إن خرفت الأخيرة حياد بلجيكا بدافعها في ذلك توقعها وخوفها من توسع المحطة الألمانية على القارة الأوروبية، وكما، وتهديد الإمبراطورية البريطانية في العالم أجمع. غير أن الملاحظة الجديرة بالاعتناء أن الحرب لم تكن إلا نتيجة لتضارب المصالح الحيوية لدول الكبرى، إذ كانت فرنسا وروسيا تحشيان من الهيمنة الألمانية التي إذا ما تركت لتتوسع وأصبحت أكثر تحكماً بالاقتصاد العالمي (٢٣).

وبناء على ذلك وضعت لتلك القوى المتنافسة نصب عينها القضاء على القوى المهددة لها قضاء مبرماً من دون تحقيق مكاسب إقليمية أو سياسية أو اقتصادية محدودة، على الرغم من الدعاية التي أثارها الألمان أنهم يبحثون عن تحقيق ذاتية الشعب الألماني (٢٤)، أو ما أطلقته دول الوفاق من أنها تضرب للدفاع عن نظمها الديمقراطية بجهة التكنولوجيا الألمانية (٢٥).

ومن جانبها وجدت ألمانيا أن الوقت مناسب لها لتوجه ضربة لأعدائها التحالفين ضد ^{zhb} ، حيث أن روسيا لم تكن تستطيع أن تكون تسليحها إلا بطول عام ١٩١٧ ، فضلاً عن شعوره بإمكانية تعاقب النصر أقام على أعدائها في هذه الحرب ^{zhb}.

وبذلك نلاحظ بأن مسألة التناقض الاستعماري قد زالت بشكل تام تقريباً من اذهان سياسة ومفكرى الأمور وقرارات الدول الكبرى، وانحصرت على محاولة تكظيم يستفيد البعض . فالحرر . عندما بدأت هي حرب أوروبية داخل تلك القارة ، ومن مصالح تعود الدول القارة الأوروبية وعلى أرضها تطالب بها دول أوروبية أيضاً غير أن . وعن ما أخذت بالاتساع تنفيذاً لإرادة سياسة تلك الدول .

الخلاصة :

شكل التناقض الاستعماري بين الدول الأوروبية جزءاً مهماً من التاريخ الأوروبي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد أدت الثورة الصناعية إلى سعي مرسوم من قبل الدول الأوروبية للتحصن على المستعمرات بغية تأمين الإمداد الخارجية لتكادها الصناعية النشطة من جهة والحصول على المواد الأولية من جهة أخرى . وقد خلق هذا التسارع في السيطرة على المستعمرات أزمة ومضاعفات سياسية وعسكرية بين الدول الأوروبية .

وإن تدمير المنافسة بين الدول الأوروبية على المستعمرات فحسب بل تمهيداً إلى المنافسة من أجل الحصول على مناطق نفوذ وإمكانيات اقتصادية في مناطق جوار الخاضعة للسيطرة الاستعمارية في الشرق الأقصى وفي أوروبا نفسها . كما لم يكن النافع الاقتصادي رغم أنه : العمل الوحد وراء السيطرة على المستعمرات . بل أنه أصبح من متطلبات ^{zhb} الوبئة " بالسيطرة بهذه الدول التي كانت تقاوم بما لديها من مستعمرات ومناطق نفوذ .

ولعل أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة يمكن إيجازها بما يأتي :

١ - كانت القوى الكبرى في العالم قد وصلت نشيطة اندلاع الحرب إلى درجة كان لكل منها مراقف ونواضع يمكن أن تنور .

٢ - أن الاستحضارات العسكرية التي كانت تتم وتظم التحالفات الثوار هلك أسيرة الأهداف المشتركة أو الفردية في جانب ، على شئ الآخر .

٣ - إن مسألة التناقض الاستعماري كانت موجودة طوالة فترات طويلة ، ولم تكن بالشراء الجديد . غير أن حدة هذا التناقض شاططت ومن الممكن القول أنها زعمت غير أن عوامل كالقومية والتحرر والمساواة كانت

هي قرآن بمسألة التقنين الاستعماري . فقد استغنتها بعض الدول لتبرير تصرفاتها أو نزاعاتها العسكرية .

٤- أن ما يطلق عليه يد (الحرب العالمية الأولى) يمكن اعتباره محاربة أوروبية لتعطية الصفة التي كانت عليها هذه الحرب . فهي حرب بين دول أوروبية حرة بدأت ، كما أنها تمت من خلال القتال بين جيوش أوروبية وعلى أرض أوروبية ، فهي إذاً الحرب الأوروبية الشاملة الأولى حيثما بدلت ، غير أنها وبعد ثوالي السفين اصطفت بالصبغة العالمية لتحول منطق الفؤاد الأوروبي . خرج أوروبا إلى ساحف للقتال وميادين للقتال .

٥- يد أن مسألة التقنين الاستعماري لم تكن هي تلك المسألة التي يمكن أن تؤدي بالعلم إلى ما ال إليه فهي علم ، فتوي إلى صبح التعبير .

المراجعين

- (i) أحمد عبد الحكيم ، الثورة الجزائرية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٥٩-٥٥ .
- (ii) محمد محمد صالح ، باين عبد الكريم ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، ط١ ، ١١٨٥ ، ص ٣٩٠-٣٨٩ .
- (iii) بطلان معنون العالم ، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة ١٨٧٠-١٩١٤ : مجلة المورخ العربي ، العدد / ٤١ ، بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ٥١-٤٩ .
- (iv) جون نيف ، الحرب والقيم البشري ، ترجمة محمد عبد المجيد روف وفخرون ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص (٤٨-٤٨٣) .
- (v) بطلان معنون العالم ، مذلات بريطانيا إشرافا في سبيلها الاستعمارية في ليبيا الوسيط ، مجلة المورخ العربي ، العدد / ٢٤ ، ص ١٨٨-١٨٥ من ١٩٠-١٨٥ .
- (vi) فاضل حسين ، كلمة كلمة ، التاريخ الأرمي الحديث ١٩١٥-١٩٢١ ، ص ١٩٨٢ ، الموصى ، ١٩٨٢ .
- (vii) روح شاركون قشوش ، الاستعمار الحديث ، ترجمة ذوات صديق ، القاهرة : دار ، من ١٩٧٢ .
- (viii) فاضل حسين ، كلمة كلمة ، تاريخ المسخر لتاريخ ١٩٨٢ ، من ١٥٦ .
- (ix) عبد الوهاب عيسى وآخرون ، تاريخ الأمم الحديثة ١٩١٤-١٩٢٥ ، ط١ ، الموصى ، ص ٨٧ .
- (x) عبد القادر بوسيف الجبوري ، التاريخ الاقتصادي ، الموصى ، ١٩٨٠ ، ص ٢١١-٢١٠ و ٢١١-٢١٠ من
- (xi) بطلان معنون العالم ، الخلافة الألمانية الروسية خلال عهد المؤامرة العالمية ١٨٩٤-١٩٠٢ : بحث غير منشور ، مملكت ، ص ٢٦ ، وكذلك : بطر : د. أ. ل. فيشر ، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة أحمد لحبيب هاشم وبيع لمصباح ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٢٥-٤٢٤ .
- (xii) عبد القادر بوسيف الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .
- (xiii) المصاوي ، ص ٢١٢ .
- (xiv) محمد مطلق آل دهم ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ بطلان معنون العالم ، أميرة روس في سلسلة بسمارك الخارجية ١٨٧١-١٨٨٢ : بحث غير منشور ، ص ١ .

(xvii) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ ؛ يقتلان مسجون الماسر ، معاهدة الحلف الآلماني الروسي الماثلة ، مجلة المؤرخين والأكاديميين ، العدد ٧ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٩٨٧٧ .

(xviii) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(xix) الأمانة : قرية صغيرة في أعالي النجف ، وقد وصل إليها ٩٩ من الرواد الفرنسيين بقيادة مارشان يوم ١٨٩٨ ووقعوا العام لأمره في حلبها : الأمر الذي كثر بريضاها واعتبرته تجورا على مناطق فرنسا مما أدى إلى تفرق خطير في العلاقات البريطانية وفرنسية . غير أن وزير الخارجية الفرنسي بتكليفه استطاع إجبارها فائدة حربيا مع بريطانيا بعد أن كلفه الأساطيل قد عثت والحرب أصبحت قاب قوسين أو أدنى . وهو ما عرف بإزمة دائودة . للمزيد من التفاصيل ينظر : تار : المصدر السابق ص ١٧٤١٧ .

(xx) جمال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب ، المجلد الأول ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٣٣٣٧ .

(xxi) رمزي ميزر ، النتائج المبررة للحرب العظمى ، ترجمة محمد يفران ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٣٤٢ .

(xxii) رمزي ميزر ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(xxiii) لويس بي. تشارلز ، العام في القرن العشرين ، ترجمة سعيد جواد السامراني ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٧ .

(xxiv) فريمان يوتد ، العرب والمصنع في أوربا (١٨٧٠ - ١٩٢٠) ، ترجمة سمير عبد الرحيم جليلي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ١٤٦٢ .

(xxv) كلارك جون ، التاريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ، ترجمة فاضل حسن ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ٣١٨ .

(xxvi) في جوبوشير ، تحرير جثة الاستعمار ، ترجمة لؤي لؤي الخراط ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩٢ .

(xxvii) نور الدين حاتم ، تاريخ الحركات القومية ، ج ٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢٠٢ .

(xxviii) رمزي ميزر ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر : براهيم برك ، المصدر السابق ، ص ١٨٨٣ .

(xxix) هيلم صالغ الشكري ، الاستعمار وأشكاله وتطور أساليبه ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٤١-٤٠ .

(xxx) رمزي ميزر ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(xxvii) جاك، يحيى، المصدر السابق: ص ٤٧٨.

(xxviii) المصدر نفسه، ص ٤٨٩.

(xxix) قنصل ميونخ، نظام قائم: بين، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(xxx) ولعل رمزي منور يجعل لكلام أكثر كسيدا، يذكره أنه لم يبق على سطح الأرض، خلفه غير خاضعة الغزو أوربا، خضوعاً مباشراً أو غير مباشر، يذكر: رمزي منور، المصدر السابق.

(xxxi) جاك، يحيى، المصدر السابق، ص ١٢٢، ١٢٣، والتفصيل ينظر:

James Williams; Ashore history of the British expansion; 2nd ed; London-1994; P 260-261

(xxxii) قرار، الصراع على الحياة في أوروبا، ١٨٤٨-١٩١٨، ترجمة د. كاظم هاشم حمدة، كويكن، ١٩٨٠، ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤.

(xxxiii) Winston. S. Churchill; The World Crisis 1914-1918; London-1942, P.103

(xxxiv) كانت ألمانيا قد أكدت في معاهدة إعادة الاعتراف لتبنيها لسلطة الروس على الامتلاك التركية، انظر: يقطن معنوي (علم)، معاهدة (جدة) (السن الأندية لروبية أسييتا) وأسياب عدم تبنيها ١٨٩٧-١٨٩٠، بحث غير منشور.

(xxv) سمعان بيليس فرج، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، ط ١: القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٢٢.

(xxvi) داري برون: الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر، ترجمة ع. ل. حجاب، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٩٥.

(xxvii) التفاضل، انظر: يقطن، معنوي (علم)، سياسة التبني الجديد، وأنها على المائتات الألمانية والأوسية، ١٨٩٤-١٨٩٠، بحث غير منشور، ص ١٢٠.

(xxviii) انظر: علمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، بغداد، ١٩٦٠، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(xxix) بيرو، د. و. و. تاريخ القرن العشرين، ترجمة نور الدين، ط ١: دمشق، ١٩٥٤، ص ٦٠٥.



(ix) تيار ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ؛ ويرى كيث تريبي أن الصراع على المستعمرات قد بدأ منذ القرن التاسع عشر ، إلى آخر كبير ، فقد كانت فرنسا وبريطانيا لهما الأنظمة في هذا الميدان . ويعد قيم الوعدة الألمانية والإيطالية ، وقيام الولايات المتحدة ، وألمانيا وفرنسا كقوى كبرى تبحث عن المستعمرات كمنهج من مظاهر المنافسة القوية ومصدر للمواد الأولية وأدق تصرف لتعويضها واستثماراتها .

David Thomson ; England in the nineteenth century (1815-1914) ; Great Britain -1963: "p.203

Telegram from sir Edward gray to mr E. Guichen no.317 dated on July (xli) 30, 1914 published in g.p.goch, harled tampery. British documents on the origins of war 1898-1914, vol.1, london, 1926; p.200

Telegram from sir Edward Gray to sir E. birly, no.419, dated on august 1, 1914. (xlii) Published in : o.e, p.250

Telegram from sir Edward Gray to mr barclay. No.638, dated on August 4, 1914. (xliii) Published in: l.d, p.328; David Lloyd George, war memories of David Lloyd George, vol.1; London -1936 p.51 r.o.k. Enson, England (1970-1917), Oxford, 1966, p.456

(xliv) سمعان بطرس ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

David Thomson ; OP.Cit, p.203. (xlv)

(xli) سمعان بطرس فرح الله ، المصدر السابق ، ص ٢٢٢-٢٢٥ .

(xlii) هناك من يرى بأن الحرب التي أرادها الله في أول الأمر حرباً محلية مستشهدين بمحاولة ألمانيا تصيد بريطانيا في هذه الحرب . ينظر :

Bernadotte E.Schmitt; The coming of the war 1914; New York, 1930; P.49.



(xlviii) في حين يرى آرون بين ألمانيا كدكت تريد استعاضاً للقوة تختار به نصراً نهلو ماسيا لكن
سنة ذلك عقي سبب لاستعدادات والخطط العسكرية المنظمة التي كانت تعد منذ جهود من لا من
بنتنر :

Louis Gusehalk, DonaldLach; The Transformation of Modern Europe, New
York, 1954,p.570

مصادر البحث

المصادر العربية والشرقية :

١. أحمد عبد الباقي ، الثورة الصناعية ، ١ ، بغداد ، ١٩٥٠ .
٢. براين بولد ، الحرب والمجتمع في أوروبا (١٨٧٠ - ١٩٧٠) ، ترجمة مدير عبد الرحمن الجادوي ، بغداد ، ١٩٨٨ .
٣. بيور روفن ، تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين الحارم ، دمشق ، ١٩٥٤ .
٤. ديلر ، الصراع على السيطرة في أوروبا ، ١٨٤٨ - ١٩١٨ ، ترجمة د. كاتلم فليشم نعمة ، الموصل ، ١٩٨٠ .
٥. جفري براون: الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر، ترجمة مجلة حجاز ، بيروت ، ١٩٦٣ .
٦. جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الآن ، أهمية الأولى ، العسكرية ، ١٩٨٣ .
٧. جون فيف ، الحرب والنقد البشري ، ترجمة محمد عبد المجيد روفن وآخرون ، ج ٢ ، ١ ، بغداد ، ١٩٩١ .
٨. روج هارلين شوش : الاستثمار الحديث ، ترجمة نولت سلاف ، القاهرة ، دت .
٩. رمزي سيور ، انتفاخ السياسة لعرب العشي ، ترجمة محمد سران ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

١٠. سمعان بطرس فرج ، العلاقات السياسية لتولية في القرن العشرين ، ١ ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

- ١١- عبد القادر يوسف الصوري ، التاريخ الاقتصادي ، انوسيل ، ١٩٨٠ .
- ١٢- عبد الوهاب حسان القيسي ، آخرون ، تاريخ العالم الحديث ١٩١٤-١٩١٥ ، ط١ ، القوسيل ، ١٩٨٣ .
- ١٣- علي حيدر ، أدان ، تاريخ الجمهورية الأردنية الحديثة ، بغداد ، ١٩٦٠ .
- ١٤- علي توبوشير ، نشرح قصة الاستعمار ، ترجمة إتيارد إغزال ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ١٥- كمال توفيق ، تاريخ الأريز ، تحديث ١٩٨٩-١٩٩١ ، ترجمة لاهل حسين ، القوسيل ، ١٩٨٧ .
- ١٦- إدريس إدراكي ، العالم في القرن العشرين ، ترجمة سعيد عبد السلامي ، بيروت ، ١٩٦١ .
- ١٧- محمد محمد صالح ، ياسين عبد الكريم ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- ١٨- محمد مختار الأدهمي ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- ١٩- محمد عوض أحمد ، الاستعمار والمناهب الاستعمارية ، قصير ، ١٩٥٣ .
- ٢٠- نور الدين جباطوم ، تاريخ المبريطات الفرنسية ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٢١- هاشم صالح التكريتي ، الاستعمار ، انتقاله وتطور استراتيجيته ، بغداد ، ١٩٨٩ .
- ٢٢- ه.أ.ك. فيشر ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة أحمد نجيب هاشم رشيد الطبع ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

ثانياً : البحوث غير المنشورة :

- ١- يقظان سعدون العابر ، أهمية روسيا في دراسة العلاقات الخارجية ١٨٧١-١٨٨٧ ، بحث غير منشور مطبوع عن الآلة الكاتبة .
- ٢- يقظان سعدون العابر ، سياسة النهج المتبعة وثورها على العلاقات الألمانية والروسية ١٨٩٠-١٨٩٤ ، بحث غير منشور مطبوع عن الآلة الكاتبة .
- ٣- يقظان سعدون العابر ، العلاقات الألمانية الروسية خلال عهد اسيسمة لعانية ١٨٩٤-١٩٠٤ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .

٤- يقتلان سجنون العمار ، معاهدة إ-الة الخدمان الألمانية الروسية أعتيها وأسباب عدم تنفيذها ١٨٨٧-١٨٩٠ ، بحث غير منشور ، مطروح على الإالة الكاثية .

ثالث : أبحاث المنشورة :

١- يقتلان سجنون العمار ، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية للآلة ١٨٧٠-١٩١٤ ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٥١ ، بغداد ، ١٩٩٥ .

٢- يقتلان سجنون العمار : محام لات إرطافرا إشارك ألمانيا في مشكلها الامتعمدية في لسا اوسلتي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ .

٣- يقتلان سجنون العمار : إعادة الحب الأخلتي الروسي قنائلة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٧١ ، بغداد ، ١٩٩٠ .

رابعاً : المصادر الإقتلانية :

- 1- Bernadette F. Schmitt; The coming of the war 19.4; New York, 1950.
- 2- David Lloyd George, war memories of David Lloyd George, vol.I, London 1936.
- 3- David Thomson; England in the nineteenth century (1815-1914); Great Britain -1963.
- 4- R.C.K. Enser, England (1970-1917), Oxford, 1966.
- 5- G.P. Cooh, Harlod tempory British documents on the origins of war 1898-1914, vol.xi, London; 1926.
- 6- James Williams; A short history of the British expansion; 2nd ed; London-1934.
- 7- Louis Gitschick, Donald Lach; The Transformation of Modern Europe, New York, 1954.
- 8- Wistoe S.Churchill; The world crisis 1911-1918; London, 1942.